

فكاهنايت

الكولونيل جيرار^(١)

-٢-

ولما رأى جيرار اصحابه يعجبون بمحدثه اشراب وفنل شاربيه وقال أما وقد
سركم سرر حديثي فدوونكم حديثاً آخر عما اصابني في مدة الحرب مع الانكايذ في
الپورتوغال فاننا حصرنا الانكايذ في تورس فيدراس ستة اشهر من اكتوبر سنة
١٨١٠ الى مارس سنة ١٨١١ . وكنت في تلك المدة قد جلت في تلك النواحي
وحصلت على رسم وافٍ يمثل مراكز الانكايذ وقواتهم فيها فوضعتُه امام المارشال
ماسينا وكنت اود ان اقنعهُ بوجود الهجوم ولكن لسوء الحظ كان مارشالية فرنسا
مختلفي الكلمة متنافري القلوب فكان ناي يكره ماسينا وماسينا يكره جينو وهلمَّ جرّاً
فسببت هذه الاختلافات تأخير الحرب حتى نفذ زادنا وتشتت شمل الفرسان لقلة
العلف ولم ينته فصل الشتاء حتى جرّدا تلك البقعة من كل ما يؤكل ولم يبق لنا سوى
التقهقر . الا ان ذلك لم يكن بالامر السهل لسببين اولهما ضعف جنودنا واعياؤهم
والثاني قوة العدو ومعرفة محل الضعف فينا . ولم يكن خوفنا من وانتون البطيء
الحركة بل من عصابات اللصوص الذين جعلوا يقتربون منا ويحيطون بنا عند ما
تحققوا ضعف خيولنا وقلة المؤونة بين ايدينا فكان اذا وقع واحدٌ منا في ايديهم
اهلكوه لا محالة . وكان من اشهر اولئك الطغاة رجلٌ خبيث يدعى مانولو يقود زمرة
من القطاع وقد نظمهم بتدريب عسكري ورتب حركاتهم ترتيباً محكماً فكانوا يهابونه
ويحبونه وطار صيته حتى بلغ معسكرنا فكانت الجنود ترتعش من مجرد ذكر اسمه

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

قلت ان انسحابنا من تلك البقعة لم يكن بالامر السهل ومع ذلك فلم يكن لنا سبيل ثم آخر ولذلك صمم المارشال ماسينا على اخلاء تورس نوؤس وبدأ بنقل المؤن والذخائر والمرضى الى كويمبرا . وكان يستحيل اجراء ذلك سرّاً فعلم به عصابات اللصوص وكانوا يقتربون من معسكرنا ليعارضوا مسيرنا ويبتاحوا ما تصل اليه ايديهم . وكانت كتيبة من كتائبنا ومعها فرقة من الفرسان قد عسكرت على بعد منا الى جنوبي نهر تاغوس فصار من الواجب اعلامهم بانسحابنا ليوافقونا لتلا يقعوا ضمن دائرة العدو وتمقطع بينهم وبيننا المواصلات . اما انا فاستعظمت الامر واخذت افكر في ما عسى ان تكون الطريقة التي يتكرها ماسينا لا بلاغ الخبر اليهم لان السعاة لا يمكنهم اجتياز تلك المسافة والفرق الصغيرة لا تنجو من ايدي شراذم اللصوص واذا لم يصل الخبر في وقته يصبح اربعة عشر الفا من جنودنا غنيمة باردة للاعداء . ولم يخاطر لي قط ان الكولونيل جيرار سيكون له الشرف بان يكون هو منقذ اولئك الجنود وانه يتم عملاً من اعظم الاعمال المجيدة

وكنت في ذلك الحين من اركان حرب المارشال ماسينا وكان له اثنان سواي على جانب من الشجاعة والذكاء اسم الواحد كورتكس والاخر ديبلسس وكانا اكبر مني عمراً واصغر مني في ما بقي . فقسم لنا ماسينا اعمالنا بالسوية فكان لكل منا يوم الاستكشاف والقيام بالتدبير الذي يرثيه ماسينا . ففي صباح اليوم الذي اخبركم عنه كنا نحن الثلاثة نتناول طعام الصباح معاً وكانت نوبة كورتكس في الخدمة فبعد ان فرغ نهض فامتطى صهوة جواده وانطلق فكان آخر العهد به . اما ماسينا فقضى يومه وعلامات القلق بادية على وجهه وعند منتصف الليل كنت واقفاً بجانب خيمته فاقترب مني ووقف ويداه على صدره ولبث صامتاً نحو نصف ساعة شاخصاً الى الجهة الشرقية منا كأنه يخترق الظلام بنظره الحاد ثم بدت عليه علامات القنوط فلعن وشتم ثم حوّل ظهره ودخل الخيمة كما خرج منها

وفي الصباح الثاني كانت نوبة ديبلسس فسار الاخر راكباً جواده ولكنه لم يرجع ايضاً فكانه اصابه ما اصاب كورتكس . وقضى ماسينا ليلته كالسابقة غير ان

قلعة كانت اقوى وغيظه اشد . ولما لاح فجر اليوم الثالث ناداني فوجدني بقربه ورأيت الدمع يتفرق في مآقيه حين قرأ في وجهي استعدادي للموت في طاعته فقال هلم يا عزيزي جيران . ثم اخذني بلطف من يدي فاوصلني الى نافذة متجهة الى الشرق و اشار بيده فتبعت اشارته فرأيت على مقربة منا معسكر المشاة تليه الفرسان و ثم سهل واسع تتخلله الكروم والاشجار وفي نهايته سلسلة جبال لأحدها قمة مرتفعة ويحيط بهذه الجبال غاب كثيف من الاشجار الغضة في وسطها طريق واحدة تناسب في ظلمة الغاب انسياب الافعى . وكان ماسينا يشير الى القمة المرتفعة فقال هذه يا عزيزي قمة جبل سيرا دي مرودال فهل ترى شيئاً في اعلاها . قلت لا . فناولني منظاره وقال انظر . فقلت اني ارى شيئاً منضداً كأنه غرفة صغيرة او بناء غير تام . فقال هذا ايها العزيز بناء من الحطب وضعته حين كانت تلك البقعة في ايدينا ولا يزال في مكانه بعد ان رجعنا عنها فهذا يا جيران يجب ان يوقد هذه الليلة . وها قد ذهب اثنان من رفاقك لهذه الغاية ولكن يظهر لسوء الحظ ان لم يبلغ واحد منهما القمة وهذه الليلة نوبتك فعسى ان يصادفك حظ اسعد من رفيقك . ولم يكذبتم كلامه حتى حولت ظهري وهممت بالخروج بدون ان اسأله زيادة ايضاح فاستوقفني باشارة وقال لا بد ان اطلعك على السبب الذي من اجله اسألك المخاطرة بحياتك . فاعلم ان اربعة عشر الفا من عساكرنا بقيادة الجنرال كلوزل نازلة على بعد خمسين ميلاً الى الجنوب منا قرب قمة سيرادوسا وقد اتفقت مع القائد انه اذا رأى النار في القمة التي اريتك اياها يرتد اللاتحاق بالمعسكر العام ويوقد ناراً على قمة الجبل الذي هو معسكر فيه علامة على فهم رسالتي . ولم يعد في طاقتنا البقاء هنا فاذا لم يرحل سريعاً نضطر الى تركه فيصبح هو ورجاله فريسة للعدو . وتراني حاولت مرتين ان ابغى هذه العلامة وها انا احاول ذلك المرة الثالثة ولعلي هذه المرة انجح على يدك ولا اقدر ان اصف لكم السرور الذي نالني عند ما علمت اهمية الامر الذي عهد الي في القيام به وعلمت اني ان قضيتة وبقيت حياً ازيد الى اعمال الشهيرة عملاً آخر افتخر به وان ميت فاكون قد جاوت القيام بامر يفوق تصور العقل

البشري . ومع اني لم اقل شيئاً فان جميع علائم البسالة ظهرت على وجهي وراها
 ماسينا فأخذ بيدي وهزها وقال دونك القمة والحطب فهما امامك لا يعوق سبيلك
 سوى عصابة اللصوص التي تعرفها فافعل ما تراه احزم بشرط ان اري النار تنقد
 على تلك القمة عند منتصف الليل . ولما فرغ من كلامه رفعت يدي للسلام العسكري
 وخرجت وانا لا اكاد أطا الارض بقدمي تيهاً وعجاباً بنفسي . ولما بلغت غرفتي
 جلست حيناً افكر في كيفية المسير وقد ظهر لي ان الذي منع رفبتي من الوصول هو
 كون الطريق محاطاً باللصوص الشديدي الانتباه . ثم قست المسافة المطلوب اجتيازها
 على خريطة امامي فوجدت منها نحو عشرة اميال سهلية قبل الوصول الى حضيض
 الجبل ثم نحو اربعة اميال في منتصف الغاب وبعد ذلك منحدر الجبل ومع ان هذا
 المنحدر قصير المسافة فانه اجد ليس فيه ما يستر اصغر حيوان اذا اجتازه . فتقررت
 لدي هذه المراحل الثلاث وعلمت اني اذا بلغت الغاب سالماً يهون علي قطع المسافة
 الباقية تحت ستار الظلام وحسبت اني اذا انتهيت من اجتياز السهل في الساعة الثامنة
 فيبقى لدي اربع ساعات لتسلق الجبل . ولما تأملت في السهل والطريق البيضاء في
 منتصفه علمت ان رفبتي ذهاباً فيه راكبين فكان ذلك سبباً لا هتداء الاعداء اليهما
 فاخترت ان يكون مسيري في غير الطريق ومع اني كنت املك ثلاثة من الجياد
 تفوق جياد المعسكر جميعه آثرت ان اسير راجلاً . ولكي اخفي لباسي ارتديت عباءة
 طويلة وجعلت على رأسي قبعة من القبعات العادية . ولما اكملت اهبطي سرت بعد
 منتصف النهار فانسلت من بين فرساننا وقد اخذت تحت عباءتي منظراً وغدارتي
 وسبني ووضعت في جيبي قداحةً وصوآناً وصوفاناً

وسرت اكثر من ثلاثة اميال بين الكروم بدون عائق فاستبشرت بالنجاح
 وقلت لا ريب ان مثل هذه المهام يجب ان توكل الى رجل ذي دراية وتبصر
 ليعرف كيف يقوم بها فكنت استعمل ذكائي الخارق في اجتياز الكروم متستراً تحت
 الاغصان الخضراء حتى اكملت اجتياز خمسة اميال وعلمت اني اصبحت في ارض
 العدو . ولما بلغت ذلك الحد رأيت امامي على مسافة قصيرة كوخاً عرفت للرجال انه

فخصص لعصر العنب ورأيت امامه بضعة رجال وعربي ثقل يحملونهما براميل فارغة . فتقدمت ببطء الى ان حاذيت البيت وفحصته بتدقيق ولكنني لم ارَ خطراً يهددني هناك فعزمت على مواصلة المسير . ثم القيت بنظري الى المسافة التي علي ان اجتازها فوجدت ان الكروم ثقل شيئاً فشيئاً الى ان تنقطع تماماً ويبقى علي السهل الاجرد . ففحصته بمنظاري فوجدت فيه على ابعاد مختلفة حراساً اقامهم الاصل الشهير مانولو يرصدون الطريق بحيث لا يمر القط من هناك بدون ان يروه . فاستأت من وجود هذا المانع الغير المنتظر واسندت رأسي الى كفي مفكراً فلم ارَ افضل من انتظار الظلام لانساب ملتجئاً بجوابه الكثيف . ولكنني علمت اني ان لم اجتز السهل كله قبل غروب الشمس لم يبق لي من الوقت ما يكفي لبوغ مكان الحطب عند منتصف الليل فتخيرت في امري جداً وجعلت اجث ضمن افكاري لارى الاصوب فيها . ثم نظرت الى البغال التي تجرّ تينك العربتين فرأيت رؤوسها موجهة الى الشرق فعلمت انها ستسير في الجهة التي اقصدها وللحال خطر لي ان اخفي ضمن احد تلك البراميل فيحملني الاعداء انفسهم الى حيث اريد فلم اتمالك ان تبسمت تبسم الاعجاب بنفسي لهذا الاكتشاف . وكان الرجال قد فرغوا من تحميل العربة الواحدة ووضعوا صفّاً من تلك البراميل في الاخرى ثم دخلوا الى الكوخ لعله لتناول جرعة من المشروب . وعلمت ان الفرص تمر مر السحاب وعلى الحكيم ان يغتنمها قبل الفوت فقفزت باسرع من البرق من محل مخبائي الى العربة الثانية واختفيت في برميل فيها ولكنه كان صغيراً على جسمي الضخم فجثوت فيه ككاتب ضمن وجاره . وماكدت اتم ذلك حتى سمعت الرجال قد عادوا الى عملهم وشعرت انهم يضعون براميل اخرى فوقني لم اعرف عددها او مقدارها . وافكرت لحظة في كيفية الخروج من مخبائي عند بلوغنا منتهى السهل ولكنني تركت حل ذلك الى وقتي معتمداً على ذكائي معتقداً ان الحظ الذي رافقني في الماضي لا يفارقني في المستقبل . ولما استوفت العربتان حملهما ساقهما الرجال وسارت العربة التي انا عليها وكان كلاً دارت عجلة من عجالاتها يخفق قلبي سبروراً التيقني بلوغ الامنية .

اما الرجال الذين رافقوا العربتين فكانوا ثلاثة فقط وقد علمت ذلك من حديثهم وكانوا يتكلمون بلغة لم افهمها جيداً وانما علمت انهم يقصون احاديث هزلية لانهم لم ينقطعوا عن الضحك دقيقة واحدة . وعلمت من معدل سير العربتين اننا نقطع ميلين ونصفاً في الساعة فبعد ان مضى علينا ساعتان تحققت اننا انتهينا من اجتياز السهل الخطر واننا بلغنا الغاب الذي يغطي سفح الجبل . فجعلت حينئذٍ اهتم في استنباط طريقة للخروج من مخبائي بدون ملاحظة احد واتباع الخطة التي رسمتها لنفسي من المسير في الغاب حيث تسترني اشجاره الغضة ويخفيني الظلام الذي بدأت ظلائعه تطرد جيوش النهار . ولكنني شعرت حينئذٍ ان العربتين قد وقفنا فجأة وسمعت اصواتاً كثيرة خشنة تكلم سائقي العربتين فقال واحد « اين . اين . » . فاجابه آخر « ضمن برميل في هذه العربة » . فقال آخر « ومن هو » . فاجابه ذلك « ضابط فرنسوي رأيتُه من ضمن الخيمة قد وثب من حيث لا ادري كأنه من ملائكة الجحيم فدخل ضمن البرميل الفارغ ولما خرجنا لم نتعرض له ولم نكلمه بل اكملنا عملنا وجئنا به لنسلكم اياه غنيمه باردة وها هو » . ولما قال هذا رفس بنعل الحديد خشب العربة حيث كنت انا . ولا تسولوا ايها الاخوان عما حل بي في تلك الدقيقة لا من الخوف بل من نظري ذهاب تعبي سدّي وفساد النتيجة التي قدّرتها فوددت من صميم قلمي ان يطلق احدهم غدارته عليّ لتخترق رصاصتها صدري فاخلص من ذلك الشقاء . ثم سمعت صوت سقوط البراميل التي كانوا يرفعونها عني ولما نظرت وجدت وجهين شرسين ينظران اليّ وحديديتي بندقيتين موجهتين الى صدري فلم استطع حراكاً . ثم سحبوني من البرميل ولا بد ان هيئتني كانت مضحكة جداً لانهم قهقروا كلهم حتى كادوا يقعون الى الارض . اما انا فملكيت روعي شيئاً فشيئاً ونظرت اليهم باحدى نظراتي الحادة ليعلموا انهم ليسوا امام جبان يهاب الموت فآثر ذلك فيهم لانهم توقفوا عن الضحك وجعلوا يتأملون في وجهي . وتمكنت انا ايضاً من فحص آسري فوجدتهم ثمانية اشخاص من عصابت اللصوص كما عرفتهم من لباسهم ولكل منهم بندقية في يده وغدارتان في وسطه . وكان

احدهم قد وضع فوهة بندقيته في اذني وتهددني باطلاقها اذا ابدت اقل حركة ثم اقترب آخر فبحث في جيوبي واخذ منظاري والغدارة والسيف وانكى من ذلك انه اخذ الصوانة والقداحة والصوفان فلم يبق لي ما اتمكن معه من ايقاد النار لو ساعدني القدر وبلغت المحل الذي اقصده

اجل انه كان حوالي ثمانية من الاشقياء عدا سائقي العربتين ولكن هل تظنون ايها الاخوان ان الكولونل جيرار قطع الامل او فقد انتباهه ومهارته . كلا وايم الحق وسأريكم الآن باية طريقة ازدرت بهم جميعاً . فاني وجدت البقعة التي نحن فيها يحيط بها جبلان من جهتين والطريق التي اتينا منها من الجهة الثالثة ومن الجهة الرابعة منحدر حاد . وادركت انني ان هربت من بينهم راكضاً ادركوني بسهولة فانهم معتادون معيشة القفار وتسلق الجبال ثم رأيت برميلاً ملقى على الارض بجانب المنحدر فوثبت اليه وبأسرع من لمح البصر دخلت فيه ودفعته بجسمي الى المنحدر فاخذ يتدحرج بسرعة غريبة ولما رأني القوم انجو منهم اطلقوا علي بعض العيارات النارية فلم تصبني . واستمر البرميل يتدحرج بي بتلك السرعة حتى لم اعد اعني شيئاً من كثرة الدوران ومن اللطامات التي اصابت جسمي فرضضته ولم افق على نفسي الا في وهدة مكسوة بالحشيش الاخضر تحتها جدول من المياه دفعت اليها البرميل المتكسر لا وهمهم اني قضيت غرقاً

وبعد ان امتلكت روعي قصدت الغاب جاعلاً وجهتي الى اشد اشجاره كثافة وجريت بقدر ما مكنتني اعضائي المتألمة وزاد في قوتي ما سمعته من مطاردة اعدائي فجمعت ما بقي لي من القوة واوغلت في الغاب الى ان وصلت الى بقعة فيه فاستوقفني صوت يقول باللغة الفرنسية آه يا الهي . فاجفلت ونظرت فاذا بمضجع من اوراق الاشجار عليه فتى مرتد ثياباً مثل ثيابي ورأيت الدم يتدفق من صدره . فسيت ما انا فيه واقتربت اليه مدفوعاً بعامل الخنو ولما سمع وقع خطواتي ادار وجهه اليّ فعرفته للحال انه ديبلسس رفيقي الذي ذهب الى حنفيه قبلي يوم واحد وعرفت من مجرد النظر اليه انه مائت . غير انه عرفني فصاح بما تبقي له من

القوة آه يا عزيزي جيرار اتركني واذهب فاوقد النار . فقلت له وهل معك صوآنة وقد آحة . قال هما في جيبى فخذهما واسرع فاني اموت سعيداً الآن بعد ان تحققت انك ستقوم بهذه المهمة واذا عدت سالماً فاخبر مارشالنا المحبوب انني عملت جهدي . فقلت واين كورتكس . قال وقع في ايديهم فمات شرميته فاذا وقعت مثله فاخترق صدرك برصاصة ولا تستسلم لهؤلاء الطغاة ولكن اذا قابلت دي بومبال فثق به . وقبل ان استفهم منه عن شيء آخر فاضت روحه . ورأيت رجلاً من أولئك اللصوص قادماً ويده الواحدة زجاجة خمر وبالاخرى بندقيته وكأنه لم يرني لانه اقترب من جثة رفيقي ثم تنهد وقال وا اسفاه على شبابه فقد قضي عليه . فقلت له من انت يا هذا . قال انا دي بومبال وقد احببت هذا الفتى فلما اصيب برصاصة من رجالنا سعيت في نقله الى هنا ووسدته هذا المضعج واسرعت لآتيه ببعض المنعشات ولكن اراني تأخرت فيا للاسف . فاستغربت كونه يشفق على رفيقي وهو من اعدائنا ولحظ ذلك مني فقال لا تعجب من حالتي فاني احد المفرجين من مانولو الشهير وانا من اركان حربه ولكني مع ذلك اكرهه لاعماله الوحشية وانتظر الفرص للتخاص من عبوديته مع عشرة من الرجال الذين يكرهونه ايضاً وقد اقساموا لي على الطاعة والالتقاد . وقد خاني القدر في تخليص رفيقك هذا ولكنني سأبذل جهدي في مساعدتك انت بشرط ان تعطني بقبولي في معسكركم مع رجالي متى تخلصنا من مانولو . وقبل ان اجيبه بكلمة رأيت هيئته قد تغيرت بغتة فرفع بندقيته وصوبها الى صدري وصاح بي قف ايها الفرنسي الملعون ولا تتحرك . ولا شك انكم تتعجبون مثلي من هذا الانقلاب الفجائي ولكنني ادركت حيلته حالاً عند ما نظرت عدداً من رجاله يقتربون اليانا من الجهة الاخرى فعلمت انه انما يفعل ذلك لكي لا يطالعهم على سره . اما هو فاقترب مني وهمس في اذني قائلاً لا تخف واستسلم لله ولي . وكان الرجال قد اقتربوا فاوثفوني وحموني ودي بومبال في مقدمتهم الى ان بلغنا محل اقامة زعيمهم مانولو فالفيتة رجلاً لم يخلق الله وحشاً ضارياً بهيئة افظع من هيئته ولا جسم اضخم من جسمه . واحتمل دي بومبال فاقترب مني وقال

مهما سألك الزعيم فاجبه صريحاً واصدقه المقال ولا تخف فقد آليت على نفسي ان اسعى
 في خلاصك . اما الزعيم فنظر اليّ ضاحكاً وقال مرحباً بالكولونيل جيران فقد شرفنا
 اعظم اركان حرب المارشال ماسينا اذ زارنا اول امس الجنرال كورتكس ثم تلاه
 الكولونيل ديبلسس والآن انت فعمى ان يزورنا غداً المارشال نفسه . اما كورتكس
 فقد سمرناه الى شجرة بالقرب من هذا المكان وفتحنا مجرى الدم في صدر ديبلسس
 وسهرى بماذا نضيفك انت . ولست اعدك بالنجاة لاننا لا نترك اسرانا ابداً ولكن
 عليك ان تختار الميتة التي تريد ان تموتها فاما ان نملك حالاً بسهولة او ان نذيقك
 اصناف العذاب اذا احببت . فقلت له وكيف يكون ذلك باختياري . قال ان هذا
 الامر يتوقف على اعطائك اياي المعلومات التي اود الحصول عليها . فقلت له اذا
 لا بد من قتلي على كل حال . قال نعم ومن الضروري ان يتم ذلك قبل منتصف
 الليل . فابرت اسرتي ولاح لدي شيء من الامل فقلت له وهل تقسم لي ان
 تميتني قبل نصف الليل الميتة التي اختارها . قال ان كلمة الشريف الپورتوغالي لا تحتاج
 الى قسم ومع ذلك فانا اقسم لك . قلت كفى فسل ما بدالك . وكأنه قرأ في وجهي
 الحزم والصدق فجعل يلقي عليّ مسائل كثيرة تختص بعدد جنودنا والمارشال ماسينا
 وكتائبنا وقوتنا وانسحابنا وما شاكل ذلك . فكنت اجيبه على كل هذه الاسئلة
 بصدق ورضى مع انه كان اسهل عليّ لو كنت في غير تلك الحال ان يسأل لساني
 وتبتر اعضائي من ان افوه بكلمة غير انني فعلت ذلك رغبة مني في الحصول على
 غاية اسمى وفائدة اعظم . ولما اتم استئلته قال اشكرك لاجل ما اخبرتني به
 وسأبلغ الخبر غداً الى ولنتون . اما انت فما بقي عليك الا اختيار الميتة التي تفضلها
 فعندنا الصلب والشنق والنشر وبتتر الاعضاء والقمل بالرصاص فاية ميتة احب اليك .
 فقلت اني افضل ميتة يراها العالم باسره اذا امكن لي علم الجميع ان الكولونيل جيران
 لا يهاب الموت فانا اود ان يحرق جسدي بالنار على قمة جبل مرودال . فضحك
 مانولو وقال اراك تود ذلك لي علم ماسينا كيف تموت جواسيسه فليكن لك ما تشاء .
 قلت اشكرك يا مولاي وانما حسب وعدك لا ينفذ في الحكم قبل منتصف الليل .

قال وليكن لك ذلك ايضاً ثم نادى دي بومبال وهو من اركان حربه وقال خذ الاسير
واعتن به الى منتصف الليل ثم احموه الى قمة مروودال واحرقوه هناك وسأذهب
بنفسي لارى كيف يُفعل باوامري . وخذوا معكم جثة ديبلستس فاقدفوها عن منحدر
القمة لتقطع على صخورها لاني لا احب ان تعتاد وحوش هذه البرية اكل لحوم
الفرنسويين المضرّة . وللحال وثب اليّ دي بومبال فشدّ وثاقي وضغط على يديّ
ليطمئنني ثم اخذوني الى جانب حيث تركوا رجلين لحراستي . ومضت عليّ ساعتان
لم اذق في حياتي امرّ منهما ثم شعرت بشخص يدنومي وسمعت صوتاً يقول انهض
يا جيرار لنضع هذه الجثة مكانك . فتبينت المتكلم واذا به دي بومبال ومعه اثنان
يحملان جثة ديبلستس الباردة فوضعوها مكاني والقوني على محمل خشبي انطرحت عليه
وعلمتني الغريزة ان اظهر نفسي ميتاً . وبعد مدة قصيرة عاد دي بومبال ومعه عشرة
من الرجال فحمل بعضهم جثة ديبلستس وحملي البعض الآخر وساروا بنا الى قمة
مروودال فوضعوا الجثة على الحطب المنضد هناك واوقدوا النار فكادت افقد عقلي من
شدة السرور . واذا ذلك اقترب مانولو ورجاله من الجهة الاخرى يضحكون ويرقصون
كانهم في وليمة شائقة . اما دي بومبال ورجاله فحملوني وساروا بي الى سفير الوادي
ولما بلغناه قال لي دي بومبال قد اتمنا مرادك والآن سنهب لك حياتك بشرط ان
تأخذنا بصحبتك وتوصلنا بامان الى المعسكر الفرنسي وتضمن لنا الدخول فيه .
فاقسمت له على ذلك . فقال اتبعني اذاً وسار امامنا من طريق خفي انحدرنا فيه الى
حضيض الجبل فلم يشعر بنا احد لانهما كهم بالرقص حول النار . ولما ابتعدنا مسافة
عدة اميال نظرت الى القمة فرأيت نارها تخرق الجو فطارت نفسي شعاعاً وتيقنت
ان المارشال ماسينا كان في تلك الدقيقة يثني علي بطله جيرار . ثم حانت مني التفاتة
الى جهة الافق الجنوبية فرأيت نوراً يرتفع من قمة جبل سيرادوسا فعلمت ان الجنرال
كلوزل قد فهم معنى النور على قمة مروودال فاضرم نيرانه علامة المارشال ماسينا انه
وعسكره قد فهموا ما خاطر جيرار بنفسه ليبلغهم اياه